بيـــان القاهــــرة

الصادر عن المؤتمر العام الثانى والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

المنعقد فى الفترة من ٨ــ١١ ربيع أول ١٤٣١هـــ الموافق ٢٢ــ٢٥فبراير٢٠١٠م

تحـــت عنـــــوان:

مقاصد الشريعة الإسلامية وقضايا العصر

لقد جاءت الرسالات السماوية جميعها تحمل للإنسان على مــدى التــاريخ الأمــن والسلام. ومن شأنها أن تتكامل وتتآلف فيما بينها، وأن تتضافر جهود علمائها وقادتهــا من أجل خير الإنسان وأمنه وسعادته. وقد تخفى هــذه الحقيقــة عــن الكثيــرين مــن أتباع الديانات السماوية وسط الصراعات والنزاعات التى يشهدها عالمنا المعاصر.

وحقيقة الأمر أن الرسالات الإلهية منذ آدم إلى محمد ــ عليهم الصلاة والسلام ــ قد اتفقت فى أصول العقيدة، وخاصة فى الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح. ولكن الشرائع فى أمم النبوات والرسالات المتعاقبة قد تعددت وتمايزت تبعاً لتمايز الواقع والأقوام ومراحل التطور التى عاشتها هذه الأمم، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة: ٤٨).

وجاءت الشريعة الإسلامية خاتمة لكل الشرائع السابقة وصالحة لكل زمان ومكان. ومن أجل ذلك وقفت نصوصها عند الكليات والقواعد العامة، لتظل ــ دائمــاً وأبــداً ــ نبعاً فياضاً لتحقيق المقاصد الشرعية الكافلة لسعادة الناس فى دنياهم وأخراهم. وتتمثــل المقاصد الأساسية للشريعة الإسلامية فى خمسة أصول تُعد أساساً لحقوق الإنسان العامة

وهى حماية الحق فى الحياة والحفاظ على الدين والعقل، وكرامة الإنسان والأسرة، والمال.

والذى يتأمل هذه المقاصد يتبين له أنها تُعد أصولاً ثابتةً وقواعد راسخةً لكل حقوق الإنسان الذى كرمه الله، وجعله خليفة فى الأرض، ليعمرها بالخير، وينشر فى ربوعها الأمن والسلام والاستقرار، كما يتبين له أيضًا أن ما تضمنته المواثيق الدولية لحقوق الإنسان لا يخرج فى جوهره عن المقاصد المشار إليها. ولا جدال فى أن قضايا حقوق الإنسان قد أصبحت اليوم من أكثر القضايا المثارة على الساحة الدولية.. ولم يعد الاهتمام بهذه الحقوق من قبيل الكماليات أو الترف الفكرى.

ومن أجل ذلك فإن من الضرورى أن يتعرف المسلمون وغير المسلمين على ما اشتملت عليه الشريعة الإسلامية من اهتمام بالغ بحقوق الإنسان، والارتفاع بها إلى مرتبة الضروريات التى لا تستقيم حياة الإنسان بدونها.

ونظراً لأن حقوق الإنسان فى العصر الحاضر قد تم إقرارها فى المواثيق الدولية منذ أكثر من ستة عقود، وأصبح لها مؤسسات محلية ودولية تراقب تطبيقها فى عالمنا المعاصر فإن من المفيد عقد مقارنات بين ما أقره الإسلام فى هذا الصدد منذ أربعة عشر قرناً من الزمان وما انتهت إليه المؤسسات الدولية من وثائق تضمن حقوق الإنسان. ومن هنا كان موضوع مؤتمر هذا العام مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بقضايا العصر، وما استجد فى العالم المعاصر من تطورات تمس حقوق الإنسان من قريب أو بعيد على المستويين النظرى والتطبيقى.

ولا شك فى أن توضيح هذا الموضوع فى ظل الظروف الراهنة التى يتعرض فيها الإسلام لاتهامات ظالمة بشأن حقوق الإنسان واجب على علماء الأمة ومفكريها لتيسير التعرف على حقيقة الإسلام وبيان حرص هذا الدين على صيانة الحقوق الأساسية للإنسان، وإقراره للتعددية الدينية والثقافية، وانفتاحه على كل الأديان والثقافات

والحضارات، واستعداده التام للتحاور معها بهدف التعاون على كل ما من شأنه تقديم الخير لكل الناس فى كل زمان ومكان.

وقد أصبح من الأمور الضرورية فى ظل مناخ التشويش على الإسلام وتعاليمه واتهامه بدعم العدوان ونشر العنف، القيام بجهد علمى للكشف عن جوهر الشريعة الإسلامية وما تشتمل عليه من تعاليم تهدف إلى ترسيخ أسس السلام والاستقرار فى المجتمع.. وتتواكب مع حاجات الإنسان المشروعة ومطالبه الضرورية فى حياته المعاصرة.. وترفض كل شكل من أشكال التطرف والتعصب.

ومن الأمور المؤسفة أن هناك جهلاً واضحاً لدى قطاعات عريضة بمقاصد الشريعة الإسلامية. ومن الملاحظ أنه عندما يطلق مصطلح الشريعة الإسلامية فى عصرنا ينصرف ذهن الكثيرين فى الشرق وفى الغرب على السواء إلى الاعتقاد بأن الشريعة ما هى إلا تطبيق للحدود المعروفة وإعلان الجهاد لنشر الإسلام فى كل مكان. وهذا فهم قاصر لا يعبر عن حقيقة هذه الشريعة السمحة. فالشريعة قد أتت لترسى دعائم مجتمع سليم تترسخ فيه الحقوق الأساسية للإنسان. وما الحدود ـ التى تمثل قدراً محدوداً من الشريعة ـ إلا وسائل داعمة للأهداف الرئيسية للشريعة وليست هدفاً فى ذاتها. أما الجهاد فإنه ليس إلا حرباً دفاعية لرد العدوان واسترداد الحقوق المشروعة، وليس عدواناً على الآخرين أو إجبار أحد على اعتناق الإسلام. فلا إكراه فى الدين كما ينص على ذلك القرآن الكريم.

ومن خلال توضيح الصورة الحقيقية للشريعة الإسلامية يستطيع كل منصف أن يتعرف على نحو لا لبس فيه ولا غموض على حقيقة الإسلام الذى يحترم النفس الإنسانية أياً كانت ويحمى حقوقها الأساسية دون تمييز. ويكفى أن نشير فى هذا الصدد إلى ما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ... ﴾ (النساء: ١).

فالجميع من كل الأديان والأجناس والأعراق ينتسبون إلى هذه النفس الواحدة دون تمييز بين فرد وآخر. فالجميع خلق الله لا فرق بينهم فى جوهر الإنسانية. ولكن الخالق قد أراد أن يكونوا مختلفين فى عقائدهم وأجناسهم وعاداتهم وتقاليدهم لا بقصد أن يتنازعوا فيما بينهم، وإنما لكى يتعارفوا ويتعاونوا على ما فيه خيرهم وسعادتهم.

ومن هنا كان احترام الإسلام للتعددية الدينية والثقافية، التى من شأنها أن تثرى التجربة الإنسانية. وهذا ما أكده النبى عليه الصلاة والسلام تأكيداً لا لبس فيه عندما أعلن صحيفة المدينة بعد الهجرة إليها، وأقر فيها لجميع سكان المدينة حقوقاً متساوية، فالجميع لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات.

إن علماء الأمة ومفكريها يدركون من غير شك الأهمية الكبرى لتوضيح مقاصد الشريعة الإسلامية. ومن هنا فإن عليهم أيضاً مسئولية كبرى فى إظهار الصورة الحقيقية للشريعة لكل الناس مسلمين وغير مسلمين، لإزالة ما علق فى الأذهان من سوء فهم للشريعة بصفة خاصة وللإسلام بصفة عامة. والمأمول أن يتحقق ذلك بجهد مشترك خدمة للإسلام وتحقيقاً لغد مشرق للأمة الإسلامية.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل..